الزقزقة او لسان العصافير

La Zaqzaqah ou le Langage des petits oiseaux.

كنت في الشهور الثمانية الاول من سنة ١٩٢٥ في دير المحرقة الواقع في جبل الكرمل ، قرب حيفا في فلسطين ، وفي ٧ ايار (مايو) وكنت اتمشى امام بناية الدير لفحص بعض الامور المتعلقة به . فجاء الي درزيان من دالية الكرمل ، (وهي من قرى جبل الكرمل) ، واخذا يتكلمان بكلام لم افهم منه كلمة ، وبعد ذلك وجه احدهما خطابه الي سائلا بعض الاسئلة عن تاريخ العمر (الدير) الى اسئلة اخر . فقلت لاحدهما : وباي لغة كنت تكلم صاحبك قبل هنيهة ؟ قال : بلسان العصافير — . وماهذا اللسان ؟ — هو ماترقزق به تلك الطويئرات . الى كلام طويل لم أستطع ان احصل منه شيئاً . اقف به على حقيقة الامر .

ثم قلت لهما : اويفهم هذا اللسان غيركما ؟ — قالا : نعم ، ويفهمه اهل دالية الكرمل ، وعسفيا (قرية اخرى من الجبل المذكور) ، وام الزينات (قرية ثالثة) واهل حيفا الى غيرهم من الاهالي ، وينطقون به عند وجودهم بين يدي غريب عن الوطن ويريدون ان لايفهم الكلام الاجنبي الذي ينطقون امامه .

قلت : اويفهم هذا اللسان غير الدروز وغير الرجال ؟ قالا : ينطق به الرجال والنساء ، البنون والبنات ، الكبار والصغار ، سكان الكرمل وجميع اهل فلسطين . وربما يحسن هذا اللسان كل ناطق بالعربية .

فأدهشني هذا الجواب وانا لم أسمع به قبل ذلك اليوم ، مع ان عمري كان يومئذ ٥٩ سنة .

فلما غادراني ذهبت الى عسفيا التي هي على بعد ساعة وربع عني سيراً على القدم، لاسأل احد النصارى هل يعرف هذه اللغة المسماة « لسان العصافير » أو كما قال الدرزيان : « الزقزقة » . فقال لي : هذه لغة يعرفها الجميع ولا تخفى على احد منا ، صغيراً كان أم كبيراً . — فقلت له : ألا تنطق لي بعبارة لاري أيشبه ماتتكلم به ماسمعته من الدرزيين . فاخذ يتدفق في كلامه كالسيل الجارف . وتأكدت

ماقاله لي الموزيان .

وللحال اردت ان اتعلم هذه اللغة . فقلت لصاحبي : أرجو منك ان تنقل لي بهذه اللغة العبارات الآتية : وانا اذكرهنا كل عبارة بالعربية وبالزقزقة ليطلع عليها القارىء :

١ — اين رائح ؟ — ازين ريزايزح ؟

٢ — رائح الى المعرقة . — رزايزح ازي لزا ازل المزح رزا قزا

٣ — كيف حالك ؟ — كزيف سزا يزح تزك ؟

٤ — صحتي طيبة — صزح حتي طزي بزه .

٥ — اريد اروح الى حيفا — أزا رزيد أزا رزوح أزي لزا حزيفزا .

٦ — مشان اشتري اكل — مزن سزان أزشتزا رزي ازا كزل .

٧ — وبعده اروح الى الكنيسة . — وزا بزع هزو ازا رزوح ازي لزا ازل كزا نزي سزه .

٨ — ومن هناك اروح الى المدرسة . — وزا مزن هزو نزا ازي لزا ازل مزدرزا سزه .

٩ — وادرس جميع علوم الفلك . — وزا ازد رزس سزا مزيع ازل عزيل لزوم ازل فزا لزك .

فلما سمعت هذه الكلم علمت انهم يدرجون في وسط كل هجاء زايا فتخرج الكلمة غريبة وتشبه زقزقة العصافير ، ومنه اسم هذه اللغة . فتحليل قولك : « اين رائح » يكون هكذا : أ[ز]ين ر[ز]ا ي[ز]ح الى آخر تلك الالفاظ .

وقد قال لي صاحبي : ان بعض المتكلمين بهذه اللغة قد يقحمون أي حرف من حروف الهجاء بدل الزاي .

ولم أجد لهذه اللغة اثراً في كتب الادب العربية . على اني وجدت في تاج العروس في مادة زقق ماهذا اعادة نصه : « الزقزقة : لغة لكلب [قبيلة من العرب] كأنها في سرعة كلامهم واتباع بعضه بعضاً » اه . فلعله يشير الى هذه . وفي لسان العرب : « الزقزقة : حكاية صوت الطائر » ولم يذكر اللغة التي لكلب . فهل من مفيد يزيدنا فائدة على ماذكرناه ؟ ومن هو ياترى ؟ . وعلى كل فاننا نشكر له بدءه سلفاً .